ليتضح المرسل والمرسل اليه اما بعد فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على رسوله
المصطفى ويزيد فى الثناء على الله تع ورسوله صلى الله عليه وسلم ما شاء ثم يكتب ما بدا له
اى ما ظهر من مهماته عند المرسل اليه ومن السنة ان يذر مضارع ذر بتشديد الراء
وفى مختار الصحاح ذر الملح والحب والدواء فرقه من باب رد اى ومن السنة ان يفرق التراب
الحلال وفى بعض النسخ ان يجعل موضع ان يذر لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا كتب احدكم كتابا فليتربه فانه انجح للحاجة وينبغى ان يكون التراب حلالا
خاليا عن الشبهة لما روى ان رجلا كان يكتب رقعة وهو فى بيت كراء فاراد ان يترب
الكتاب من جدار البيت فخطر بباله ان البيت بالكراء ثم خطر بباله ان لا خطر لهذا فترب الكتاب
فسمع هاتفا يقول سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه من طول الحساب ذكره فى شرح
الخطب او يضعه اى يضع كتابه على الارض ثم يرسله اظهارا للتواضع وكانت كتب
الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اى مكتوباتهم منحصرة فى النصيحة والموعظة
والانذار اى التخويف ولم يذكر المص التبشير ههنا اما بجانب الزجر هكذا قاله الشارح ويجوز
ان يكون كتب الصحابة خالية عن التبشير مخافة غرور الناس فعدم ذكر المص حينئذ
يكون بيانا للواقع ومصالح المسلمين وكانت خالية عن اللغو اى القول الباطل يقال
لغا قال باطلا وبابه عدا والغى الشيء ابطله والغاه من العدد القاه منه كذا ذكر فى مختار
الصحاح والكذب وزخارف القول اى محاسنه وفى القاموس الزخرف الذهب وكمال حسن
الشيء ومن القول حسنه بترقيش الكذب انتهى والمراد بزخارف القول ههنا ما كان فى رعاية
الصنايع كالتجنيس والسجع وغيرهما وكانت مقصورة على الواقع المهمة من امر الدين و
اعمال المسلمين كالتعزية فيمن اصيب بمصيبة والتهنية فيمن وصل الى نعمة والتهنية ضد
التعزية والعتاب زلة والاعتذار فيمن اساء اليه والشفاعة الى احد فى احد مستحق
بها والاستشارة من المشورة وفى بعض النسخ والاستبشار فحينئذ يكون من البشارة الا ان هذه
النسخة تنافى الاحتمال المذكور فى وجه عدم ذكر المص التبشير قبيل هذا الكلام والاستنصار
اى طلب النصرة ممن هو اهل لها ونحو ذلك ولما بين ان كتب الصحابة خالية عن اللغو مقصورة
على الامور المهمة النافعة فى الاخرة اشار بقوله وجاء فى الخبر تفضيل اعمال الخير بعضها
على بعض الى ان تلك الامور ليست فى درجة واحدة بل على مراتب متفاوتة بعضها اهم وانفع
من الاخر فينبغى للمؤمن اذا كتب كتابا ان يقدم الاهم فالاهم وهو اى الخبر الذى جاء فى تفضيل
بعض الاعمال على بعض قوله اى مثل قوله على حذف المضاف صلى الله عليه وسلم بر بفتح الباء
امر من تبر من باب علم اى احسن الوالديك ولو سافرت فى ذلك سنتين وصل امر من وصل
كعد من وعد اى اذهب الى صلة رحمك ولو سافرت فى ذلك سنة وعد بضم العين

امر من عاد المريض يعوده عيادة المسلم المريض اى اذهب الى عيادته ولو سرت على ميل وهو
اعنى الميل منتهى مد البصر كذا ذكر فى مختار الصحاح وصل على الجنازة ولو كانت على اربعة
اميال ولو فى هذه المواضع الثلاثة للوصل فعلم من هذا الحديث ان بر الوالدين افضل من صلة
الرحم وهى اى صلة الرحم افضل من صلوة الجنازة وهى اى صلوة الجنازة افضل من العيادة
فصل فى طلب الحوايج قال بعضهم اى بعض السلف من استغنى بالله تعالى اى بالتوكل
عليه عن الناس احوج الله تعالى اى جعل محتاجا اليه الخلايق وان احق ما يلزم المؤمن
التقى بتشديد الياء اى المتقى ان يتعفف اى يكف نفسه بالتكلف عن طلب الحوايج وتفسير
بعض الشارحين قول المص هذا بقوله اى يتكفف لا يخلو عن فساد كما مر فى فصل الصدقة فانه
اى طلب الحوايج من الناس فتنة عظيمة وبلية بتشديد الياء جسيمة اى كبيرة شديدة
وهى بمعنى عظيمة ايضا وهو اى الطلب المذكور اشد من الموت الاحمر بالراء المهملة اى من الموت
الشديد وفى الجوهرى وموت احمر يوصف بالشدة ومنه الحديث كنا اذا احمر البأس
وسنة حمراء اى شديدة قال فى شرح المصابيح ان العرب ترى ان فى كل احمر قوة وشدة فوق
ما يعتقد فى غيره ولذا وصف الموت الشديد الاحمر وقد يصحح بالزاء المعجمة فيفسر بالاشد
والاقوى قال فى صحاح الجوهرى الحمازة الشدة وقد حمز الرجل بالضم فهو حميز الفؤاد وحامز
وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما افضل الاعمال احمزها اى امتنها واقواها وقد يفسر
بحيوان بحرى شبيه بالمخاط ينقبض وينبسط على الدوام فكثيرا ما يلقيه الموج الى ساحل البحر فيموت
بانتظار ان تاتيه الموج ويوصل الى البحر الا ان هذا التفسير يقتضى ان يكون الاحمر مضافا
اليه للموت والاولين يقتضيان ان يكون صفة له على الاحرار من رق الشهوات وفى الحديث
من استعف اى طلب العفة وهى الامتناع عن الحرام اعفه الله تعالى اى رزق له العفة
وجعله عفيفا ومن استغنى اى طلب الغنى بالله تعالى عن الخلق اغناه الله تعالى اى جعله
الله تع غنيا عنهم ولفظ الحديث هكذا ومن يستعف يعفه الله ومن استغنى يغنيه الله
ومن يتصبر يصبره الله وما اعطى احد عطاء خيرا واوسع عليه من الصبر ذكر فى المصابيح
وقال فى شرحه لابن ملك وفى بعض النسخ ليستعفف بفك الادغام اى من السؤال يسهل
عليه القناعة ومن يظهر من نفسه الغناء وترك السؤال ويحفظ ماء وجهه يجعله الله
غنيا ومن امر نفسه بالصبر وكلفها عليه يسهل الله الصبر عليه وانما كان الصبر اوسع لان
نفعه عام موجود فى كل ما يشق على النفس من الفقر والطاعة وغيرهما هذا كله من شرح غير
عبارة وانما كان الصبر وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة انبت الله
لطايفة من امتى اجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان فيسرحون ويتنعمون كيف
شاؤا فيقول لهم الملايكة هل رايتم جهنم فيقولون لا هل رايتم الحساب فيقولون